

## باتستا

### طاغية كوبا

حرية الإنسان أئمن مالمديه فى هذه الحياة وأقدس مايملكه .  
فإن فرط فيها أصبح لا وجود له ولا كيان لوجوده ، والتاريخ يتوقف  
عند الاعتداء على الحريات متمثلاً فى اعتقال شخص بدون جريمة  
أو حبس مواطن بدون خطيئة أو تعذيبه أو إهانة أو إذلال إنسانيته ..

والتاريخ أيضاً ينسى للحاكم كل خطاياهم إلا اعتدائه على حرية  
مواطنيه أو ظلم شعبه ورعاياه أو التسلط عليهم من خلال حكم  
الإرهاب والظلم . وسلب الإنسان حريته يقتل فى داخله روح  
الانتماء والكرامة ، ويزرع فى قلبه الخوف والتردد ، وقوانين التاريخ  
ثابتة فهى تسجل العدل وتحذف كل الأمجاد إذا اقترنت بالظلم ..

وباتستا .. من قارة تبعد عنا آلاف الأميال ولكن إحساسنا بالإنسان  
فى كل زمان ومكان ، يجعلنا نقرب منه كثيراً لتتعلم من  
الدروس ، ولتؤكد فى كلمات تدفق تدفق الدم من القلب كلمات  
هى كبد الحقيقة ، وهى أن قضية الحرية للإنسان دوماً مترابطة  
ودفاعه عنها شرف لا يدايه شرف ولا يعلو فوقه هدف .

ولقد كان « باتستا » الإرهابى الملعون الذى حكم « كوبا » بالحديد والنار واستعان على حكم مواطنيه والتسلط عليهم بالقوى الأجنبية ، ووضع نفسه فى خدمة الاحتكارات نظير سمسة وعمولات ، وكان الثمن فادحاً حيث عاش شعبه فريسة للمرض والتفكك والإذلال ، يعانى من الفقر والجهل بسبب السلطة الحاكمة المستبدة التى لا تعترف بالقواعد الإنسانية أو القانونية أو العدالة السماوية .

فى عهد باتستا قاست كوبا ما لم تقاسيه فى عصر الاستعمار الأسيانى أو فى عهد السيطرة الأمريكية ، لقد وأد حرية الصحافة ، وقيدها وكممها وسجن كل صوت حر عارض أسلوب حكمه .

والواقع أن أمريكا اللاتينية كانت ولا تزال القارة الوحيدة فى العالم التى تعانى من حكم الطغاة منذ حصول دولها على الاستقلال من الاستعمار الأسيانى ، وحتى الآن ، وإذا كانت هناك قارة تماثل ظروفها فهى القارة الأفريقية ، إلا أن هذه القارة الأخيرة بدأت تدخل مرحلة النضج السياسى ، وتعتبر مرحلة المراهقة تمهيداً للاستقرار الذى تتطلع إليه شعوبها ، وشعوب أمريكا اللاتينية لازالت تقاسى من مغامرات الانقلابات العسكرية وحكم المغامرين وتسلط الطغاة .

وحتى نبدأ القصة من بدايتها علينا أن نتكلم عن كوبا وحركة التاريخ فيها والأرض والسكان والمعاناة والأمل والثورة التى خلصتها من ذلك الحكم الدموى الإرهابى اللاأخلاقى .

## اكتشاف كوبا :

كوبا إحد جزر الهند الغربية التي يطلق عليها جزر الأنتيل وهي تقع في نصف الكرة الغربي ، وقد اكتشفها كريستوفر كولومبوس سنة ١٤٩٢ في أول رحلة لكشف العالم الجديد ، وكان يعمل في خدمة أسبانيا ، لذلك فإنه منذ هذا التاريخ وكوبا تخضع للحكم الأسباني حيث اتخذت قاعدة للتوسع الأسباني في أمريكا اللاتينية .

وتتكون جزيرة كوبا من جزيرة كبيرة رئيسية وعدة جزر صغيرة ، تقع في المحيط الأطلنطي تبعد عن فلوريدا - إحدى الولايات المتحدة الأمريكية - حوالي ( ١٣٥ ميلاً أى ٢١٧ كم ) إلى الجنوب ، ومساحة كوبا تصل إلى ١١٠,٩٢٢ كم<sup>٢</sup> ( ٤٢,٨٢٧ ميل ) وكوبا تشكل نصف أراضي مساحة جزر الهند الغربية وعاصمة كوبا هي « هافانا » ، وتمتد ٧٨٠ م من الشرق إلى الغرب ، وتنتسج في الجنوب الشرقي إلى ١١٩ ميلاً فقط ، بينما اتساعها في الشمال الغربي ١٩ ميلاً فقط ، ويصل عدد سكان كوبا في سنة ١٩٨٤ حوالي ٩,٩٤٥,٠٠٠ وتصل نسبة الزيادة في السكان ١,٣٪ سنوياً والسكان مزيج من ثلاثة عناصر هم الهنود الحمر ، وقبل الغزو الأسباني كان عدد الهنود الحمر فيها من ٨٠ إلى ١٠٠ ألف ، ولكن الأسبان أبادوا منهم الثلث ، أما العنصر الثاني فقد كان العبيد المجلوين من أفريقيا ، ووصل تعدادهم أكثر من ٨٠ ألف

عبد ، أما العنصر الثالث فهم المهاجرون من البيض وبصفة خاصة من الأسيان وقد حدث تزاوج بين العناصر الثلاثة وكان الانصهار هو شعب كوريا الحال .

واللغة الأسيانية هي اللغة الوطنية لكوريا ، والعقيدة الكاثوليكية هي السائدة حتى سيطرة الحزب الشيوعي الذي تأسس سنة ١٩٧٦ والذي يحكم من خلال مكتب سياسي مكون من ١٦ عضواً وجمعية وطنية من ٤٨١ مواطناً ينتخبون لمدة خمس سنوات ، ولكن رغم ذلك فإن ٤٢٪ من السكان لازالوا يترددون على الكنيسة .

والزراعة تشكل مصدراً هاماً من مصادر الدخل القومي وأهم المحاصيل النقدية هي محصول السكر ، ومحصول الطبايق ، وبعد التحول الشيوعي لكوريا أصبح الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية أهم الدول المستوردة للسكر لكوريا وهناك اتفاقية طويلة الأجل بين كوريا ودول مجلس التعاون الاقتصادي لدول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي المعروف باسم « الكوميكون » . ولكن انتهت بانحلال أوروبا الشرقية .

### كوريا والتاريخ السياسي :

كان أول استعمار لكوريا هو الاستعمار الأسياني الذي قسم البلاد إلى ٧ مناطق محلية وبسبب محصول السكر الكوري الذي وصل

سنة ١٨٦٠ إلى أن يكون ٣٣٪ من الإنتاج العالمي ازديادات قبضة  
الأسبان على كوبا ، وقد عانت كوبا نتيجة لإلغاء تجارة العبيد  
سنة ١٨٦٥ ، واستعاضت أسبانيا عن ذلك بأيد عاملة من الهند  
والصينيين وبعض أهالي المكسيك .

وقد انتهت العبودية من كوبا في سنة ١٨٨٦ وصدر قرار بمقتضاه  
تحرر كل العبيد ، ولكن نظرا لقسوة الاستعمار الأسباني وتبعته  
فإن أهالي كوبا دخلوا في صراع طويل من أجل الحصول على  
استقلالهم ، وخاض الكوبيون حريين متواليتين للحصول على  
استقلالهم : الحرب الأولى بدأت من سنة ١٨٦٨ واستمرت لمدة  
عشر سنوات أى حتى سنة ١٨٧٨ وحشد الأسبان فيها ما يقرب  
من ٢٠٠ ألف جندي لمواجهة الثورة والتمرد ، ورغم خسارة أسبانيا  
إلا أن سيطرتها على كوبا استمرت حتى بدأت حرب الاستقلال  
الثانية سنة ١٨٩٥ وبفضل تدخل الولايات المتحدة بعد ثلاث سنوات  
من نشوب القتال أى سنة ١٨٩٨ ، انتهى الاحتلال الأسباني لكوبا ،  
ولكن حل محله النفوذ الأمريكي بداية من ١٨٩٩ التي اعتبرت  
سنة الاستقلال ، ولكنه كان استقلالاً واهياً حيث أنه في سنة ١٩٠١  
حصلت الولايات المتحدة على حق الإشراف على السياسة الخارجية ،  
وعلى أنها - أى الولايات المتحدة - من حقها إنزال قواتها إذا  
ما تعرضت كوبا للخطر ، وقامت الولايات المتحدة بتأسيس قاعدة

عسكرية بحرية لها في « جواتانامو » في كوبا لازالت هذه القاعدة الأمريكية حتى الآن في داخل أراضي كوبا ، ومن الجدير بالذكر أن كوبا أصبحت منطقة استثمارية أمريكية بداية من سنة ١٨٩٦ حيث كانت رءوس الأموال التي تستغل في الجزيرة تتراوح ما بين ٤٠ ، ٥٠ مليون دولار ثم ارتفع هذا الرقم حتى وصل في ظل حكم باتستا إلى ما يقرب من ٨٠٠ مليون دولار أمريكي .

وفي سنة ١٩٣٤ حصلت كوبا على استقلالها التام ، وهكذا يمكن أن يقال إن التحرر من الاستعمار الأسباني لم يجلب الحرية لكوبا لأن معاهدة « بلات » قيدت استقلال كوبا وجعلت الولايات المتحدة تظل محل أسبانيا في توجيه مقدرات الشعب الكوبي .

#### باتستا والسلطة :

في البداية أود أن أتوه أن باتستا لم يكن أول الطغاة لجزيرة كوبا ، كما أنه لن يكون آخرهم ، ولكن باتستا هو أشدهم قسوة وأكثرهم إرهابا ودموية ، كان عميل الاستعمار الأمريكي وتبشه بالنازيين ، حيث أسس ما يشبه الجستابو للتجسس على الشعب الكوبي ، وكانت أجهزة مخابراته ما بين عسكرية ومدنية تربو على العشرين جهازاً وأخطروهم المنظمة التي عرفت باسمه والتي انشأها في ١٠ مارس سنة ١٩٥٣ ووضع على رئاستها السفاح « ميغيل أوجالد كاريللو » الذي يشبه « بريا » في تاريخ الاتحاد السوفيتي ،

ولعل أخطر الطغاة قبل « باتستا » هو « ماشادو جيراردو » الذى عاش فى الفترة من ١٨٦٢ إلى ١٩٤٠ وقد أُنتخب رئيساً لجمهورية كوبا عام ١٩٢٤ ولكى يستمر حكمه أثار فتنة طائفية بين شعب كوبا ولكنه أُجبر على الهرب فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٣٣ بعد حكم دام ٩ أعوام (تسعة أعوام) وبعد سقوطه جاء نظام شعبى واسع الجماهير برئاسة «جراز سان مارتان رامون » الذى انتخب سنة ١٩٣٣ رئيساً مؤقتاً للجمهورية، ولكن لم تلبث الولايات المتحدة أن أطاحت بحكمه حيث قام انقلاب ضده بتأييد منها ولم يستطع رجال هذا الانقلاب السيطرة على الأمور ووصلت فى عهدهم سمعة الحكم فى كوبا إلى الحضيض، عندئذ انتهز ضباط من القوات المسلحة الكوبية- يخرج من تحت السلاح الفرصة وقام بانقلاب جديد وقبض على ناصية الحكم بيد من حديد، وذلك الضابط كان هو «باتستا» الذى نتحدث عنه فى هذا الفصل .

قفز باتستا من صفوف الجيش ليصبح قائدا للجيش الكوبى واختير عضواً فى مجلس الشيوخ ، واستولى على زمام الأمور معتمداً على ولاء الجيش له ، وفى عهده عرف نظام السخرة المقروض على الجنود فى الأملاك الفخمة الخاصة بكبار موظفى الحكومة المدنيين والعسكريين ، نعم لقد وجد من العسكريين فى عهد باتستا من لطخت رؤوسهم إلى أقدامهم بدماء الشباب الكوبى الذين علموا

واغتيلوا ، ولم يكونوا أبدا مضطرين لذلك ، ولكن اشتغال الجنود كعبيد فى الاملاك الخاصة كان بلا شك نوعًا من الإجبار ، وليس من شك أن الفئة التى أيدت باتستا هم طغمة من الخونة والأشقياء الذين حشوا بقسمهم فى أن يكونوا فى خدمة وطنهم مدافعين عن الشعب وحقوقه وليسوا أداة فى يد الحاكم يسهلون له طغيانه وجبروته .

ولقد كان انقلاب مارس الذى قاده باتستا خدعة ذنينة للاستيلاء على الحكم حيث استغل استياء الجيش من أساليب الحكم السابق ، ولم تلبث القوات المسلحة أن تبينت حقيقة « باتستا » ومن يحيطون به ، وتساءل الكثيرون من العسكريين الشرفاء عن الدافع الملح الذى جعل القوات المسلحة تتحمل هذه المسئولية التاريخية فى تدمير الدستور ، وفى إرهاب المواطنين وفى تسليم السلطة لفئة من الناس لا أخلاق لهم ولا ذمة ، أناس فاسدون مهترنون سياسياً حتى العظم عاجزون عن إشغال أية وظيفة عامة إلا بقوة الحراب والأسوأ من ذلك حراب لا يملكون الشجاعة على هزها بأنفسهم ..

وتأكد لجنود الجيش وضباطه الشرفاء أن ما وعد به « باتستا » من إصلاح الأحوال لم يكن إلا تخدير للأعصاب ، ونوعًا من الوهم وسطوًا على المستقبل عامًا بأن ما أنفقه باتستا على شراء الدبابات والمدافع والأسلحة كان يمكن أن يحل مشكلة كوبا الاقتصادية ويرفع

مستويات المعيشة فيها ، ولكن ككل الطغاة كان باتستا يظن أن قدرة الجيش على البطش ، هي السبيل الوحيد لبقائه في السلطة وكان لسان باتستا من حوله يقول :

« مت أيها الجندي في سبيل الحكومة ، أعطها دمك وعرقك وسوف نقدم لك خطابا وترقية بعد وفاتك ( في وقت لن تكون بحاجة إليها ) في حين نظل نحن نزداد ثراء وفي عيش رغده أقتل أيها الجندي ، عامل الشعب بالسوء واضطهده وحينما يضيق الناس ذرعاً بهذا كله فسوف تدفع أنت ثمن جرائمنا » .

لقد حكم باتستا كوبا عقب الانقلاب الذي قام به في عام ١٩٣٣ ، وعين نفسه جنرالاً للجيش الكوبي بعد أن كان مجرد ضابط من تحت السلاح ، ونجح في إجراء انتخابات كان هو الوحيد المرشح فيها ، ومن ثم أمسك مقاليد الأمور في كوبا لمدة ست سنوات لم يعط فيها كوبا أي تطور أرتقدم ثم حكم أربعة أعوام أخرى أي أنه استمر في فترة حكمه الأولى في الفترة من ١٩٣٣ حتى سنة ١٩٤٤ ثم أجبر على التخلي عن الحكم ، ولكنه عاد مرة أخرى وقام بانقلاب دموي رهيب في مارس سنة ١٩٥٢ أوصى به رئيس الجمهورية المنتخب « كارلوس بريوكارس » وأعاد تنصيب نفسه بدلاً منه وقد تم ذلك بمساعدة رئيس جيش كوبا المدعو « بيريز داميرا جينو نيفد » .

هكذا يمكن أن يقال إن باستا هو الطاغية الوحيدة بين الطغاة الذي حكم بلده على فترتين منقطعتين الأولى سنة ١٩٣٣ حتى سنة ١٩٤٤ ، والثانية ١٩٥٢ إلى ١٩٥٩ أى أنه حكم كوبا مدة ثمانية عشر عاماً، واعتلى السلطة من خلال انقلابين دمويين وبمساعدة خارجية من الولايات المتحدة الأمريكية .

وخلال حكم باتستا رصف طريق الشعب بالآلام والخيانات والوعود الكاذبة .صفت خلال هذا الحكم العناصر الوطنية تصفية جسدية ، وازدحمت السجون والمعتقلات بكل صاحب رأى ، وتمنى الكثير من الكوبيين الموت هروباً من البؤس الذي عاشوا فيه خلال حكم « باتستا » ، وكان لا بد أن يضحى شباب كوبا من أجل وطنهم إنقاذاً له من الظلم والظغيان ، ورغم تعدد انتفاضاتهم لم يخلوا بجثثهم ودمائهم من أجل مستقبل بلدهم لأنهم كانوا يدركون أنه حتماً سوف تتحرر بلدهم وتنشع الغيوم مهما طالت السنون ، وأن الشمس سوف تشرق بعد أن حاول بضعة أفراد لا ضمير لهم ، شوهوا بجرائم لا تغفر سمعة كوبا ، سوف تشرق هذه الشمس على كوبا تهديهم إلى طريق النور والعدل والحرية .

وما كان الطاغية باتستا فى أى يوم رجلاً يسمح للأوهام أن تعوقه فهو لم يتردد فى أية لحظة عن اجترار الأكاذيب الملققة للشعب ، فلقد ادعى أنه قام بانقلاباته لإنقاذ كوبا من حمامات دم محتملة

الوقوع ، ولكنه فى الواقع هو الذى أغرق كوبا بأساليب التعذيب والإرهاب والجريمة ، وخنق الحرية لشباب رفضوا الخضوع لأوامره والانصياع لإرهابه .

ومما هو جدير بالذكر أن اغتيال الأسرى قد اقترن فى تاريخ كوبا باسم « باتستا » بصورة مشؤومة ، ولم تسطر فى تاريخ كوبا قط صفحة سوداء واحدة بمثل الصفحة التى سطرت فى كوبا خلال حكم « باتستا » ، حيث رافق عدد الضحايا ووحشية الجلادين قسوة دموية رهبة مصحوبة بمقصد وحزن وبؤس عميق .

وخرج باتستا من خلال فترة حكمه الأولى بثروة قدرت بأربعين مليون دولار ، ومن خلال رئاسته الثانية وصلت ثروته إلى أكثر من ٣٠٠ مليون دولار ، بينما كان شعبه يتضور جوعاً لقد قسم دانتى جحيمه إلى تسع حلقات ، فوضع المجرمين فى الحلقة السابعة ، واللصوص فى الحلقة الثامنة ، والخونة فى الحلقة التاسعة ، ولكن الأبالسة سوف يختارون حينما يطلب منهم أن يختاروا الحلقة الملائمة لروح باتستا ، هذا إذا كانت له روح حقاً .

ومما يحكى عن جيروت حكم باتستا وجلاديه أنهم أرادوا اعتراف أحد المواطنين الأحرار عن اختباء الثوار فأتوا لإحدى النساء المسجونات بعين دامية وقالوا لها وهى ترى العين : « إنها تخص أخاك وإذا لم تقولى ما رفض أن يعترف لنا به فسنقلع عينه الأخرى » فما

كان من الفتاة وهى تنتفض إباء رغم حبها لأخيها إذا كنتم قد اقلتم له عينا ولم يتكلم فلا تنتظروا منى أن أتكلّم أنا » .

ولقد وصفه « ريشارد ديميانيى » فى إذاعة الـ بـ بـ سى البريطانية بأنه دكتور أجوف وحاكم صغير متعجرف .

لم يتورع باتستا عن ارتكاب كل جريمة ، وكان خطوه حين انتزع السلطة بالقوة أنه ظن أن القوة وحدها هى التى ستمكّنه من الاحتفاظ بها وسالت الكثير من الدماء نتيجة لما أرتكبه من أخطاء .

لقد أصبح لا يمضى يوم دون ضحايا جدد من يقضون نحيبهم على يد رجال البوليس ، بل إن مدير البوليس بنفسه كان يتولى قتل كل من تثور حوله الشكوك واشتدت وطأة التعذيب فى عهده حتى أن البوليس كان يلقى بجثث الضحايا على الأرصفة ليكونوا عبرة لغيرهم .

ولعل أخطر المذابح فى عهده كانت مذبحه « مولوزا » التى راح ضحيتها ما يقرب من عشرة آلاف مواطن ، ووصل الأمر أن ابنه « رين باتستا » لم تعجبه سياسة والده ، فشارك فى إحدى المظاهرات ضده دون أن يدري أصدر باتستا الأمر بفض المظاهرات بالقوة ، وكان أن أطلق البوليس الرصاص على المتظاهرين فقتل ابنه ولما علم بالأمر أصيب بشلل فى التفكير وانقلب إلى ذئب دموى يريد قتل كل شىء وكتم كل صوت للمعارضة ضده وكان كلما يحس أن

زمام الأمور سيفلت من يده يزداد استبداداً مما كان يزيد في كراهية الشعب له .

جمع باتستا ثروة من السلب والنهب قدرت بثلاثمائة مليون دولار ، وفي عهده انتشرت الرشوة والمقامرة والفساد والانحلال ، وكانت أسرة باتستا تقسم المشروعات التجارية والسياحية في كوبا وتجمع من ذلك أرباحاً طائلة ، وكان روبرت فرناندز أخو زوجة باتستا يشرف على شبكة كبيرة من القمار ، ووصل دخله السنوي أكثر من عشرة ملايين دولار ، واستغلت مدام باتستا اليانصيب لتجني من ورائه أموالاً كثيرة وقد أُنسند باتستا المناصب الهامة لأسرته فمثلاً أخو زوجته كان مديراً عاماً للبوليس في هافانا ، ولكي يدعم باتستا حكومة ، لجأ إلى تعيين آلاف من أنصاره في وظائف وهمية تدر عليهم في آخر كل شهر مرتبات منتظمة نظير أعمال لم يؤديها ، والواقع أن باستا كان يجد تشجيعاً لسياسته من الولايات المتحدة ، ولو أن واشنطن أرادت إبعاد باتستا عن الحكم لثم لها ذلك قبل أن تستطيل لحية فيدل كاسترو ولتجنبت أمريكا من المصاعب التي حدثت لها فيما بعد لقد كانت الأسباب الرئيسية للثورة ضد باتستا تتلخص في الآتي :

١ - النمو السريع للرأسمالية خاصة تحت سيطرة الأجنبي مما أدى إلى تركيز متزايد على الأرض وتطورات احتكارية ورفع أثمان الطعام .

٢ - النمر التدريجي للطبقة المتوسطة داخل كوبا ونمو تطلعاتها  
الطبقية للسلطة والحكم .

٣ - الدكتاتورية التي تشجع الاستثمار الأجنبي والمشاريع الأجنبية  
وتمجد الارستقراطية وتقيد الفرص الاقتصادية للطبقة الوسطى  
وحرمانها الكامل من التعبير السياسي عن نفسها ، وهذه الدكتاتورية  
لم تضطهد غالبية الشعب فحسب بل أيضا بعض المتعاونين  
معه .

٤ - الأزمات الاقتصادية المتكررة ونقص المحاصيل .

٥ - القمع القاطع للحركة الوطنية وانتشار الاضطهاد السياسي .

### حكم الحديد والنار :

لقد جعل « باتستا » كوبا في قبضته الحديدية حيث اعتبرها  
إقطاعية له ولأسرته ، وجمع حوله الصحفيين الذين حاولوا أن  
يظهروا سمعته في الداخل ويحسنوا صورته في الخارج ، وأحتفظ  
« باتستا » وعصبته بالجزء الأكبر من دخل كوبا لاستعمالهم الخاص ،  
وقبل أن يلقى « باتستا » حتفه كون ثروة تبلغ الملايين لقد كان  
مستبدا جائراً ويعد من أقسى الطغاة في العالم لقد سجن المثات ،  
وعذب وقتل ونفى كثيراً للخارج خلال حكمه الطويل ، ولم يحدث  
شيء لبلده خلال حكمه ليخفف عن الناس الفقر والجهل .

وكان التدمير السياسى يزداد يوماً بعد يوم ضد حكم « باتستا » واكتسب الطاغية عداء المثقفين ، ونمت المرارة خلال حكمه فى قلوب العمال ، ولم يكن ذلك إلا نتيجة طبيعية لما قام به من إغلاق المدارس والمصانع ، لقد كانت اللحظة الراهنة على حساب البلد ، وكان اهتمام الطاغية ومن حوله موجهها إلى استغلال الأرض والإنسان والجماد والحيوان فوق أرض كوبا ويفعلون تلك الانتهازية بشعارات يرفعونها تتحدث عن شرف الوطن وحرية المواطنين ، وفى ظل حكم باتستا كانت كوبا ضيعة ينهبها الأجانب مقابل عمولة يحصل عليها الطاغية وأعوانه .

### نهاية الطاغية :

لابد لكل طاغية من نهاية ، لأن التاريخ هو سلسلة من الصراع بين القوى الشيطانية بما تمثله من استبداد سياسى وظلم اقتصادى وانحراف اجتماعى وبين عاشقى الحرية ومناصرى العدل والباحثين عن الأمن والاستقرار .

إن القوى الشيطانية التى جعلت سلاحها للسيطرة على الشعب الإرهاب والإباحية ، استطاعت عبر باتستا أن تضرب نطاقاً من العزلة حول الجماهير وأن تعيق حركتها وتخدر قواها .

لقد سقط « باتستا » تحت أقدام ذوى اللهى « أنصار ذلك المحامى الذى امتهن القانون ، وضايقه أن تسجن العدالة فى بلده

ونقصد به « فيدل كاسترو » الذى تشبه يبطل كوبا القومى « خوسيه مارتى » .

وفى الواقع شعب كوبا شعب ثورى بطبيعته لا يرضى الضيم ويأبى الظلم ويدافع عن حقوقه ومسلح بوعى سياسى يعيزه عن بقية شعوب قارة أمريكا اللاتينية .

ومنذ انقلاب باتستا الذى قام به فى ١٠ مارس سنة ١٩٥٢ لم تسكت أصوات المعارضة ضده ، وقام ضده كفاح سرى تزعمه طلبة الجامعة وبعض العناصر النقاية وشلت الإضرابات تفكير الديكتاتور ، وكان أقوى المعارضين هم جماعة ٢٦ يوليو التى تزعمها فيدل كاسترو رئيس الحزب الأرثوذكسى فى هافانا ، وقامت هذه الجماعة بمحاولة فاشلة لطرده الديكتاتور باتستا إلى جانب محاولات جديدة لكن الطاغية قتل معظم الذين قاموا بها ، وبقي من هؤلاء الأبطال اثنا عشر رجلاً هربوا إلى جبال « سييرا مايسترا » مصممين على مواصلة الكفاح لإسقاط حكم الطاغية ، ولم يلبث أن انضم لهم فى نهاية عام ١٩٥٨ ما يقرب من عشرة آلاف متطوع .

إلا أنه خلال عام ١٩٥٧ هاجم بعض الفدائين قصر الرئاسة الذى يعيش فيه الطاغية بهدف اغتياله لكنهم فشلوا ، وكانت أعمال المدنيين فى المقاومة السرية متنوعة ، حيث قاموا بحملات الدعاية

ضد الحكومة وجمعوا ملايين الدولارات من الشعب بجميع صفوفه لشراء الأسلحة والمؤن لجيش الثوار .

وكلما زاد الثوار عملياتهم الفدائية كلما زاد عنف واضطهاد حكومة « باتستا » للمعارضة ، واعتادت منازل كوبا تلك الزيارات الليلية التي كان يقوم بها أعوان الطاغية لاعتقال أى شخص حيث يؤخذ المعتقلون إلى مراكز البوليس ونكبات الجيش وكان مصير المعتقلين ينتهى بمجرد اعتقالهم ، وتعرض عشرات الألوف من الوطنيين فى كوبا لتعذيب آثم ، وتقول الإحصاءات إن ما يقرب من عشرين ألفا من المدنيين ، قتلهم الطاغية باتستا ، ونظام حكمه ، وكانت الجثث تشوه بحيث لا يمكن التعرف عليها ولكن كان لابد للثورة أن تنتشر ، وهكذا نجحت ثورة كاسترو سنة ١٩٥٩ .

وبقى أن نقول للشعوب التي تعاني من حكم الطغاة ، إن الحرية لا تستجدى استجداء إنما تؤخذ بحد السيف وبقوة الوعي والإنسان الذى يطيع قوانين ظالمة ويسمح لأناس يسومون الوطن الذى ولد فيه سوء العذاب ليس هو بإنسان شريف ، فكما لابد للعالم من النور ، وكذلك لابد أن يكون فيها شئ من الشرف ، وعلينا أن ندرك أنه عندما يكون هنالك الكثير من الناس بلا شرف ، فهناك إلى جانبهم كثيرون غيرهم يحملون فى أنفسهم أسمى معاني

الشرف ، وهؤلاء هم الثوار انصار الحرية والعدل والمدافعون عن حقوق الجماهير والمرأة الصادقة لنيل الشعب .. وأخيراً هم الذين يمثلون الكرامة الإنسانية بحق .

لقد هرب باتستا لاجئاً إلى جمهورية الدومينيكان في الأول من يناير ١٩٥٩ وكغيره من الطغاة أدرك بعد فوات الأوان عظم الجرم الذي ارتكبه في حق ضحاياه مدركاً ما سيكتبه عنه التاريخ وكيف ستلتهن الشعوب ، وتظل تلاحق خطاياهم حتى تنتهي حياته ليلقى عذاب الآخرة على ما قدمت يداها .